توسع الاحتلال والمقاومة الشعبية بالصحراء الشرقية من خلال مصادر الأرشيف العسكرية الفرنسية

(تقرير مخطوط الضابطان بورال ***borel*** وهيربيون ***herbillon 1849***)

الدكتور: بيرم كمال قسم التاريخ جامعة محمد بوضياف المسيلة

تمهيد

مثلت مقاومة واحة الزعاطشة التي قادها المجاهد الشيخ بوزيان مثالا للوطنية و روح الجهاد و نموذجا لتلاحم الشعب الجزائري لرد المحتل الغاشم .و إذا كانت أحداثها قد حصرت عند الكتابات الفرنسية كأحداث محلية مرتبطة بعصيان لبعض وجهاء المنطقة ,فان بوادر هذه المقاومة التي اتصفت بالبعد الوطني الذي ظهر في سرعة انتقال أحداثها إلى مناطق محيطة بها مثل الاوراس و الحضنة وأولاد نائل دليلا على عمقها الشعبي الذي يستمد قوته من ترابط العائلات و الاعراش الجزائرية و الذي كان دائما احد المقومات الهامة في تواصل النضال و الكفاح الوطني.

و على الرغم من النظرة السطحية التي عالج بها الكتاب الفرنسيون ثورات عقد الخمسينات من القرن التاسع عشر حيث يطلق عليها بمرحلة التهدئة فان المقاومة الشعبية التي عرفتها منطقة الصحراء الشرقية أصبحت في نظرهم مجرد مناوشات يقوم بها دراويش و مشاغبون و لذلك يعتبرون أن الجيش الفرنسي كان في هذه المرحلة يقوم بعمليات التأديب و تلقين الدروس القاسية للثوار أمثال الشيخ بوزيان .وهذا ما نلمسه في كتابات كل من :الكولونيا بورال BOREL في تقرير يومياته في حصار الزعاطشة siège de zaatcha [1] المرتبط بالعمليات التوسعية بمنطقة الزيبان منذ سبتمبر 1849.وكذا الجنرال هيربيون herbillon قائد مقاطعة قسنطينة سنوات 1848-1849 الذي رصد يوميات الحصار على الزعاطشة وقدم تلك اليوميات في كتاب صدر سنة 1863 تحت عنوان انتفاضة بالجنوب القسنطيني او حصار الزعاطشة 1849،الذي استمر من 7 أكتوبر الى 26 نوفمبر 1849. والذي مثل بالنسبة للاحتلال الفرنسي مأساة الصراع الصليبي ،والذي فقدت فيه فرنسا أكثر من 1500 رجل و 30 ضابط وفقدت بسبب الكوليرا أكثر من 600 رجل.

كما يقدم الجنرال هيربيون Herbillon قائد العمليات العسكرية بالقطاع القسنطيني في تقريره المؤرخ في سبتمبر1849 جانبا وصفيا لمنطقة الزيبان وخصوصياته الجغرافية ثم يتعرض الى وصف دائرة بسكرة العسكرية ونشأتها وباعتباره قائد على إقليم الحضنة فقد كتب وصفا آخر للحضنة وسهول الوطاية وبساتينها وواحاتها والمناطق التي مر بها قبل ان يتطرق الى الشيخ بوزيان ثم عمليات حصار الزعاطشة.كما قدم الضابط سيروكاSeroka في مراسلاته جوانب مهمة من تاريخ المقاومة الشعبية بالزيبان باعتباره قائد العمليات العسكرية في بسكرة وواحة الزعاطشة إضافة الى الضابط شارل بوشيرboucher Charles في كتاباته حول حصار الزعاطشة و الذي نشر عام 1851المترجم و الضابط شارل فيرو Charles Féraud الذي نقل عن

[1] Anom:11h28:journal du colonel boral: siège de zaatcha 1849.

الفرنسيين و الذاكرة المحلية.و الذي مجد كثيرا الحملات العسكرية الفرنسية وأهمل ذكر مصادر كتاباته التي أخذها من الأهالي.

الصحراء الشرقية في اهتمامات الفرنسيين بداية الاحتلال

وجدت الصحراء الشرقية أواخر العهد العثماني تحت إدارة بعض العائلات النافذة التي بسطت سلطتها تحت وصاية بايات قسنطينة، وقد ولى احمد باي مشيخة العرب الى عائلة أخواله بن قانة [1] قبل أن تتحالف الى جانب فرنسا وبعد أن كانت تشرف عليها عائلة فرحات بن سعيد[2] بن بوعكاز[3]،وكان سنة 1831 قد انتقل في وفد مع بن يلس وبوضياف والمقراني للقاء الجنرال بيرتزان Berthezeneمن اجل إدارة الصحراء باسم فرنسا[4].في حين كان احمد بن سالم هو سيد الاغواط منذ 1828 الى حين تعيين الأمير عبد القادر لخليفته بالاغواط السيد قدور بن عبد الباقي.[5]وقد بدا اهتمام الفرنسيين بالصحراء منذ رحلة روني كابي **Rennie Caibe** (1824 – 1828)، التي كانت من أوائل الرحلات التي قام بها المغامرون الفرنسيون بجنوب الجزائر[6] ،حيث أن الاهتمام الفرنسي كان من خلال نقطتين أساسيتين هما :أهميتها التجارية و ثرائها الكبير ،و هذا ما يفسر تمويل و اهتمام

1-تنحدر أسرة بن قانة من السلالة الشريفة " الشريف السيد الحاج بن قانة بن علي بن سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن عمر بن خالد بن يونس بن إبراهيم بن منصور المكنى قانة أنظر الملحق رقم 7 . وحسبFéraud فإن جذور عائلة بن قانة تعود إلى" قرية كوكو المتواجدة في جبال جرجرة ،أين كانت تعيش امرأة اسمها قانة (ولهذا أصبح أبنائها وأحفادها يلقبون بن قانة)" وقد انتقلت للعيش بعرش العنانقة وتزوجت برجل من هناك انظر: Feraud (ch) : **Le Sahara de Constantine**, op.cit, pp 88 كما عمل محمود بن قانة في مهنة الحدادة ،وتعرف من خلالها على أحمد القلي،هذا الأخير الذي قصده لإصلاح حدائد فرسه ،فتطورت العلاقة بينهما إلى حد المصاهرة حيث تزوج أحمد القلي بمباركة بنت بن قانة (والدة أحمد باي) أنظر محمد خير الدين: مذكرات ،ج1 ،المؤسسة الوطنية للكتاب (ب ت ط) ،ص64 .

2-هو فرحات بن أحمد بن محمد بن السخري المدعو فرحات بن السعيد ،ولد سنة 786 1 نشأ في بيت عمه مع أولاده في سيدي خالد ،أمه هي جرحة بنت الشيخ الحداد ،تولى مشيخة العرب سنة1821 ويعتبر آخر من تولى هذا المنصب من الذواوة والرياحين ،وقتل بفعل الخديعة سنة. 1842 أنظر فريدة قاسي:« **الدولة في فكر الأمير عبد القادر1832*1847**» رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ،جامعة قسنطينة ، 1999 ،ص197 .

3- عائلة بوعكاز : تنحدر جذورها من بني هلال ،وهي أسرة عريقة في المنطقة ،تميزت بالشرف والشجاعة ،أشهر .زعمائها فرحات السعيد، وتضم أولاد صاولة و الدواودة أنظر:صالح فركوس : ،مرجع سابق ،ص 295

4 Gouvion,edmont:,ayane almagharibaed fontana alger 1920. للمزيد انظر تفصيل العائلة في 4,

5 Daumas:le Sahara algerien:etude geographique,statistique,1845 pp 23-26.

6-يحي بوعزيز :"**اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها** "، الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، ع خ ، 1979، ص48. - أحمد مريوش: " **التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود فعل سكان الهقار 1916**"، المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، ع11، 2005، ص ص 114، 115

رجال الأعمال و السياسة الفرنسيين بهذه الرحلات الاستكشافية ،حيث نجد أن الضابط لآبي(**laphi**) تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية التي اعتمد عايها قادة الاحتلال للتوسع في الصحراء . و كذلك قام الباحث أفزاك(**Aveazac**) سنة 1836بإنجاز دراسة جغرافية عن منطقة الصحراء و قد أثمرت هذه الدراسة بوضع خريطة وضحت عليها المعالم .وفي سنة1845 قام المارشال سولت(**Soulte**) بتقديم تقرير إلى الملك يبين فيه الأهمية الإستراتيجية والتجارية من توسيع الاحتلال إلى الجنوب ،جاء فيه " **يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة بعد التلال،صنفا ثالثا ،من الجهات الإدارية ،ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين ولا تطؤها الجيوش إلا بغرض قمع الفوضى، أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية و توسيعها ،و هي مناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة**".[1]

الضابط دوماس (**Daumas**) اصدر كتابا سنة 1845،وذلك بتشجيع من المارشال بيجو (**Bugeaud**) تحت عنوان الصحراء الجزائرية **Sahara Algèrien** و هي دراسة عن الجنوب القسنطيني[2] استغل منصبه كضابط للمكتب العربي بالجزائر في استقصاء أهالي الصحراء القادمين إليه دون عناء السفر. وفي إطار الرحلات التي قام بها الفرنسيون نحو الصحراء ومنطقة الاغواط نذكر رحلة الفرنسي Eugène Fromentin[3]اوجين فرومانتان[4] [5]1820-1876 الذي يقدم فيها ملاحظات عديدة في إطار سرد كرونولوجي لرحلته بالصحراء الجزائرية في كتابه الذي صدر 1873بعنوان **صيف في الصحراء** un été dans le Sahara والذي أعيد طبعه عدة مرات جمعها في طبعة رابعة سنة 1877 .

يستعرض فرومنتان أيام الرحلة التي قام بها منذ 1856 ،عندما أنجز كتاب "عام في الساحل" une année dans le sahel ،وقد طبع سنة 1858 و قدم خلال رحلته ، بعد ان أعاد تصحيح ما قدمه في الطبعة الأولى للكتاب ،جوانب مما شاهده عبر ترحاله على جواد فرس منذ بداية رحلته من مدينة المدية في 21 ماي 1853 ، يستذكر المؤلف بعض ذكرياته خلال زيارته الأولى لمدينة الجزائر وانتقاله الى قسنطينة سنة 1848، ويقدم جوانب

---

[1]- أندري برنيان ،أندري نوشي ، أيف لاكوست : **الجزائر بين الماضي والحاضر** ، ترجمة اسنطبولي رابح ومنصف عاشور ،ديوان المطبوعات الجامعية ، المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984، ص ص 385، 384.

[2]- أحميدة عميراوي : **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر** ، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 1999، ص ص 96.94.

[4] [4] اوجين فرومانتان من مواليد 1820/10/24 بلاروشال وتوفي في 1876/08/27 بنفس المدينة حائز على شهادة لسانس حقوق في 1843 زار لاول مرة الجزائر مع بعض أصدقاءه سنة 1846 حيث رسم عدة لوحات فنية لمظاهر طبيعية وسكان الجزائر والتحق مع مدرسة المستشرقين les orientalistes كما قام بزيارة ثانية من بين زياراته الثلاث الى الجزائر .

وصفية لكثير من الأمور كالظواهر المناخية وتقلبات الجو والتساقط ويقارنها بعد مدة من الزمن أي في طبعة الكتاب الأخيرة سنة 1874،التي تحمل عنوان صيف في الصحراءun été dans le sahara.

تبدأ رحلة اوجين فرومانتان بمدينة الجلفة منذ 31 ماي 1853 أي بعد 5 أيام من السير منذ المدية ويصل الى الاغواط في 3 جوان 1853.كما أن القيادات الفرنسية أكدت في العديد من المرات على الأهمية الإستراتيجية التي تكتسبها الصحراء الجزائرية لإنجاح مشروعها التوسعي في إفريقيا ،و من ثمة عمدت إلى استمالة أعيان الصحراء قصد التعرف على إمكانياتها الاقتصادية و الطبيعية و البشرية (من خلال دراسة بنياتها الاجتماعية ،معرفة حقيقة أوضاعها الاقتصادية و دراسة الأوضاع الدينية و حتى النفسية ،بهدف استغلالها بشكل جيد).

قام البرلمان الفرنسي سنة 1844بإصدار قانون يقضي بتوسيع نفوذ الاحتلال،ومده إلى الجنوب و ذلك عن طريق إنشاء مراكز عسكرية في المدن،التي تعتبر مناطق هامة وإستراتيجية في المبادلات التجارية مثل (سعيدة، تيارت ،ثنية الحد ،بوغار ،بسكرة)[1].

المقاومات الشعبية واحتلال الصحراء في من خلال تقارير هيربيون وبورال

نجد في تقرير الكولونيل بورالbaral الذي قاد إحدى الفرق العسكرية التي توسعت في الصحراء الشرقية واحتلت منطقة الزيبان الى جانب فرقة الجنرال هيربيون جوانب هامة من الأحداث التاريخية الجزئية التي ارتبطت بها مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة،لانها كتبت في حينها قبل ان تدون في كتب تم تنقيحها بعد ان اختفت الظروف التي أحاطت بها حين حدوثها سواء ما تعلق بكاتبها او بسياق كتابتها فيما بعد.

المخطوط يتكون من 69 صفحة تحمل الصفحة الأولى عنوان: journal des opérations de la SIEGE colonne expéditionnaire des zibanes du 27/09 au 7 /12 1849. DE ZAATCHA :صحيفة العمليات لفرقة بعثة الزيبان من 27 سبتمبر الى 7 ديسمبر.حصار الزعاطشة من طرف الكولونيل بورال ديبريتيزال قائد الاركان العامة. يستعرض التقرير الذي جاء كرونولوجيا ، في البداية وصفا مفصلا حول سير العمليات العسكرية التي استهدفت احتلال واحة الزعاطشة ومنطقة الزيبان التي جاءت بعد هزائم الجيش الفرنسي بقيادة كاربوسيا carbuccia التي أفقدت هيبة وسمعة الجيش الفرنسي في نظر أهل الصحراء بقيادة الشيخ بوزيان باعتراف الكولونيل بوريل barall[2].

[1] – جمال قنان: **قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر،الجزائر،1994، ص ص 140، 141.

[2] Anom:11h28 :journal des opération s de la colonne expéditionnaire des zibanes1849.

يقدم تقرير برال لأهم شخصيات الصحراء الشرقية، منهم الشيخ بوزيان ، والحاج المختار مرابط بأولاد جلال ،والشيخ عبد اللطيف[1] شيخ زاوية الخنقة ، الى جانب حليف فرنسا بن شنوف،ثم يبين التقرير تكوين الفرق العسكرية التي واجهت الشيخ بوزيان وانتفاضات الزيبان والتي دفعت بالسلطة العسكرية الفرنسية الى الاستنجاد بفرق من الجزائر وقسنطينة وسكيكيدة وعنابة ،ومن سطيف فرقة الزواف التي قوامها 400 فارس ،كما يقدم التقرير عملية تحرك هذه الفرق نحو الزعاطشة [2] بقيادة الجنرال هيربيون الذي انطلق من قسنطينة يوم 1849/09/25 ليصل الى باتنة يوم 1849/09/28 ،يتطرق التقرير الى مسالة هامة في تاريخ المقاومة وهي موقف القيادات التقليدية من الاحتلال وتوسعاته ،والتي بدت على غير ما يجب أن تكون من خلال الضيفة التي قدمها قياد المناطق التي مرت عليها فرق الجنرال هيربيون حيث يذكرها مثل:قايد البرانية بأولاد عبد النور وبن يمينة قايد الصحاري و القايد سي العربي بوضياف احد مشايخ الاوراس والقايد سي المختار بن دايخة قايد أولاد سلام وعلي بن صابر من أولاد سحنون وسيدي بلعباس مرابط من أولاد عبدي و القايد سي مقران قايد الصحاري .

الملاحظ في التقرير أن هناك ولاءات عديدة من الصحراء ساهمت بقدر ما في إعطاء جانب الأمان والقدرة لفرنسا في توسع سهل في الصحراء أمثال بن شنوف وبن قانة .ويقدم التقرير جانب الخلافات بين القادة العسكريين خاصة الضابط كاربوسيا والجنرال هيربيون في مسالة تنظيم المناطق العسكرية بإقليم الزيبان والحضنة ،ودفع بالجنرال هيربيون الى التصرف دون الأخذ برسائل القيادة العسكرية ورسائلها خاصة وانه اخذ من كاربوسيا قيادة اعراش أولاد دراج الشراقة التي تمثل ثلث المقاطعة التي تعتبرها تابعة لدائرة بسكرة العسكرية.

جدول إحصائي لفرقة الجنرال هيربيون التي شاركت في حصار الزعاطشة سبتمبر 1849.

الصفة	الضباط	المشاة	الخيول	البغال
هيئة الاركان	14		34	
الفيلق الثامن للخط	15	461		8
الفيلق 48	28	842		15
اللواء الخامس	12	532	14	15

12-هو عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الهجرسي العامري الونجلي الإدريسي الحسيني الخنقي، و ينتهي نسبه إلى سلالة شريفة، كما أكد ذلك الشيخ العالم الشاعر عاشور الخنقي في مؤلفه منار الأشراف ولد بخنقة سيدي ناجي،من أسرة محافظة و قد أغفلت المراجع التاريخية تاريخ ميلاده الذي يرجح أن يكون سنة 1789 م .نشأ و ترعرع في مسقط رأسه، حيث حظي بتربية إسلامية خالصة، فنهل العلم من منابع علماء المنطقة مثل الصديق الو نجلي، ثم الشيخ محمد بن عزوز البرجي أحد كبار العلماء الجزائريين في نهاية القرن 18 و مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة الزاب.

[1] Anom:11h28:journal du colonel BOREL: siège de zaatcha 1849.

للقناصة				
الرماة الاهالي	**21**	**591**	**5**	**6**
الفرقة الثالثة للقناصة	**9**	**160**	**171**	
الفرقة الثالثة للصبايحية	**7**	**122**	**5**	
المدفعية	**8**	**273**		
الهندسة	**4**	**132**	**19**	**281**
الادارة	**1**	**16**		
الاسعاف	**5**	**18**	**5**	
المجموع	**127**	**3306**	**492**	**335**

[1] Anom:11h28 :journal des opération s de la colonne .- [1] expéditionnaire des zibanes1849.

التوسع الفرنسي في الصحراء الشرقية

يبين التقرير كيف حاولت سلطة الاحتلال العسكرية بتجميع قواتها بمدينة قسنطينة منذ شهر سبتمبر 1949 ووصل عدد القوات إلى 3306 جندي و ضابط كما أمرت قواتها المتواجدة بمحيط بسعادة تحت قيادة الضابط برال بالانتقال إلى واحة الزعاطشة مع قوات أخرى آتية من سور الغزلان و باتنة و بسكرة.

من مدينة قسنطينة انتقلت القوات بقيادة الجنرال هيربيون إلى باتنة في 1849/09/28 كما تدعمت هذه القوة العسكرية بقوة قوم ابن قانة شيخ العرب و نصبت الخيم بواحات بسكرة في 1849/10/4.كما تعززت قوة الاحتلال بقوة أخرى من اللفيف الأجنبي بقيادة الضابط كربوسيا carbusca.وخلال هذا اليوم حاولت قيادة الجيش الفرنسي التموقع باختيار منطقة كدية المائدة قرب واحة الزعاطشة كمكان لتمركزها قبل المبادرة في الهجوم و تمركزت بالكدية منذ **7 أكتوبر** بقوة قوامها 4493 جندي والمعروف أن كدية المائدة تقع على مقربة من قرية ليشانة وواحة الزعاطشة و تمثل موقع طبيعي ارتكازي للعمليات العسكرية. ويقدم التقرير جانبا مهما من الخسائر البشرية للقوات الفرنسية في المعارك الاولى لشهر أكتوبر ودعم أولاد ساسي للمقاومة بالزعاطشة بقوة 400 فارس التي أعاقت العديد من محاولات القائد كاربوسكا الهجومية على حصن الزعاطشة.

حصار الزعاطشة في تقرير هيربيون

حسب التقرير كانت طبيعة منطقة واحة الزعاطشة بما تمتاز به من انبساط و اتساع تفرض على العدو وضع خطط مناسبة لإنجاح الهجوم على الواحة التي تمركز بها الشيخ بوزيان و قوته لذلك اختار القائد الفرنسي أن يكون

الهجوم على واحة الزعاطشة من موقع الزاوية التي تبعد كدية المائدة بمسافة نصف كيلومتر تقريبا .بدأت القوة الفرنسية **يوم 7 اكتوبر** بعمليات قصف لأسوار البساتين و محاولة اختراقها بخلق ثغرات بها ثم محاولة اختراقها بالهجوم على الزاوية. و كانت هذه المحاولات فاشلة بعد تصدى الثوار القوي للهجوم الفرنسي الذي ترك ورائه 25 قتيل و 7 جرحى.في نفس اليوم أمر القائد هيربيون ابن قانة بتجهيز قومه لمحاصرة الواحة و الزاوية من الجنوب في انتظار وصول القوات الأخرى كما حاولت قوة فرنسية أخرى منع أنصار الشيخ بوزيان من الاتجاه إلى الواحة بحصار طولقة و ليشانة وكان الصمود الأول للثوار و ردهم للهجوم الأول ليوم 7 أكتوبر عاملا هاما في رفع معنوياتهم و التحام الاعراش المجاورة بهم و توافد الأنصار من الاوراس و الواحات المجاورة.

وكان لهذا الحدث الأول وقع على الفرنسيين الذين صرح قائدهم هيربيون : herbillon

(الواقع أن هذا الاشتباك الأول يثبت لدينا أن العرب مصممون على منازعتنا كل شبر من الأرض التي تفصل بيننا و بين الزعاطشة)[1]**وفي يوم 8** أكتوبر قامت القوة الفرنسية ببناء قاعدة بطارية للمدفعية ،من اجل اختراق الواحة، و تقدم الجيش الفرنسي نحو ثغرة أحدثتها المدفعية في جدران البساتين، غير أن هذا الهجوم الثاني تصدت له قوات الثوار التي استطاعت قتل 7 فرنسيين و خلفت منهم 43 جريح .

وبالنظر الى ما جاء في تقرير هيربيون فان المقاومة بالصحراء الشرقية لم تكن بمعزل عن المقاومات الشعبية للمناطق المجاورة كمناطق القبائل بزواغة وقبائل أولاد سحنون والحضنة الذين ثاروا بقوة قوامها 800 فارس و400 فانتازي ضط القائد سي مقران وتفاعلوا مع مبعوثي بوزيان ،وأوقعوا خسائر في الأرواح والعتاد لحلفاء فرنسا وقواتها.[2]

بعد الهزيمة القاسية التي منيت بها القوات الفرنسية، بدأت بتجهيز حملة ثانية تكون أكثر قوة وعنفا بقيادة هيربيون حاكم مقاطعة قسنطينة، فانتظر نهاية فصل الصيف لصعوبة مناخ المنطقة في تلك الفترة .وبحلول فصل الخريف قاد هربيون الحملة من قسنطينة متجها نحو الزعاطشة ،مرورا بباتنة بقوة عسكرية قدرت ب 4493 جندي ومدعمة بقوات القياد[3]، حيث عسكر في مكان يسمى " **كدية المائدة** " وهي منطقة تصل كل من الزعاطشة وليشانة وبشقرون وطولقة وذلك يوم 07 أكتوبر 1849.

---

[1] الجنرال هيربيون ايميل من مواليد 1794 شارك كجندي متطوع في الجيش الفرنسي سن 1813 خلال معركة واترلو ثم اصبح بعد عودة الملكية ملازم ثم 1820 ثم نقيب سنة 1825 ثم شارك في حرب اسبانيا سنة 1828 ثم استقدمه الجنرال بيجوا حيث تقلد معه رتبة مقدم سنة 1841 ثم رتبة غقيد سنة 1846 ثم اصبح قائد مقاطعة قسنطينة ساهم في احتلال القبائل والاوراس ثم قاد حملته ضد مقاومة الزعاطشة وكتب مؤلف مركز الزعاطشة سنة 1863 ثم رجع الى فرنسا حيث رقي الى جنرال وقاد معركة القرؤم الى جانب العثمانيين سنة 18561863

[2] Herbillon: insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849.siege de zaatcha,paris 1863vp 25.

[3] Anom:11h28 :journal des opération s de la colonne expéditionnaire des zibanes1849.

أمر القائد هربيون شيخ العرب بن قانة بوعزيز بجمع شيوخه ورجاله، والإحاطة بالواحة والزاوية لإحكام الحصار عليها من جهة الجنوب ، كما كلف فرقة الخيالة بقيادة الكولونيل دوميرياك بالتمركز مابين طولقة والزعاطشة لمنع وصول أي نجدة، كما أمر المقدم ليرسات (**Lirisat**)بالتمركز قرب ليشانة لنفس الغرض[1].امافي يوم 9 أكتوبر أقام الجيش الفرنسي قاعدة بطارية ثانية للمدفعية في ضل اشتباكات عنيفة ومقاومة باسلة للرجال و النساء حالت دون تقدم قوات الجنرال هيربيون الذي كتب عن هذا اليوم ب (شعرنا بهذه الأحداث البائسة شعورا عميقا و أدركنا أهمية التستر من نيران القرية المحاصرة في أسرع وقت ممكن فان هؤلاء الثوار قد أعطونا دليلا قاسيا على مهارتهم في القتال)كما اعترف الجنرال هيربيون herbillon أن الثوار مكافحون حيويون نشطون و صبورون وقد نقل عن بعضهم انه من الحرام أن تطأ أقدام الفرنسيين ارض واحة الزعاطشة كما تحرم مكة على المسيحيين.

تطور أحداث احتلال الزيبان

في يوم 10 أكتوبر أقام الجيش الفرنسي بطارية رابعة للمدفعية لحماية الحفر المتقدمة و محاولة تدمير أسوار القرية و قد لقيت هذه المحاولة من القوة الفرنسية ردا عنيفا من الثوار بكمين نصب لهم أدى إلى مقتل 11 جندي فرنسي و جرح 22 آخرين.وإلى غاية 11 أكتوبر كانت العمليات العسكرية و محاولات الهجوم متركزة و بدون انقطاع على الجهة الجنوبية الشرقية من القرية و لم يكن بمقدورها استعمال الهجوم المباغت في الوقت الذي ازداد صمود الثوار و عزيمتهم في المقاومة . لذلك حاولت القوة العسكرية العمل على الجهة الشمالية الشرقية منم القرية المحاصرة بالقرب من منزل كانت فرنسا تضن أن القائد بوزيان بداخله .و قد تركزت كتيبتين من الفيلق الخامس في البستان القريب من القرية استطاعت خلال اليوم **الموالي أي 13 أكتوبر** من احتلال الموقع بعد عمليات قلع الأشجار المثمرة و قد واكبت هذه العملية محطات من الهجمات الخاطفة التي قام بها الثوار و من عمليات تعطيل الهجوم العسكري الفرنسي و التي سمحت باسترجاع الجرحى و تنظيم صفوف أنصار الشيخ بوزيان الذي استبدلهم بمجاهدين آخرين رفقة زغاريد النساء و طلقات البارود التي فاجأت و أبهرت و أدخلت الرعب في الجيش الفرنسي . و لعل هذا الموقف هو الذي دفع بقائد الجيش الفرنسي إلى طلب النجدة من قائد فرقة بو سعادة الكولونيل بورال الذي و صل إلى واحة الزعاطشة رفقة 1315 جندي مسلحين بكل أنواع الأسلحة زادت قليلا في معنويات الجيش المنهك بالزعاطشة و الذي فقد أزيد من 200 جندي . و بقدوم قوة القائد بورال BOREL ارتفع عدد الجيش الفرنسي إلى 6040 جندي .

من جهة الثوار لحق بواحة الزعاطشة ثوار منطقة طولقة كما وصل ثوار ليشانة إلى عين معيوب

من اجل قطع الاتصال بين قوات الجيش الفرنسي .حاولت القوة الفرنسية تنظيم نفسها بحيث جعل القائد النقيب قراييت على الجهة اليمنى و القائد النقيب شارل على الجهة اليسرى في حين حافظ الكولونيل بيتي pettitعلى

---

[1] – إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، مرجع سابق ،ص67 ,

مهمة الأشغال الخاصة بالحفر و تنصيب قاعدة بطارية خامسة حاولت قصف الواحة من الجهة الشمالية الشرقية منذ **يوم 14 أكتوبر**.وفي 15 أكتوبر 1849 وضل تعداد فرقة الجنرال هيربيون:150ضابط و 4580 جنديب 652 حصان و385 بغل .

بينما وصل تعداد الكولونيل بورال:56 ضابط و1499 جندي و162 حصان و94 بغل.[1] كما يقدم جوانب من مقاومة أهل الزعاطشة وحمايتهم للحصن والزاوية كما يتطرق الى تحضير هجوم القوات الفرنسية على الزاوية.كما يشير التقرير الى انتفاضة أهل بوسعادة بقيادة الشيخ بن شبيرة وعرش أولاد ماضي بالحضنة من جهة والى تجنيد الضابط بان قائد برج بوعريريج الشيخ محمد المقراني لأكثر من 500 فارس مع مجموعة من الفرسان من سطيف انطلقت بتاريخ 30 أكتوبر نحو الزعاطشة.[2] وينتهي التقرير بوصف نهاية حصار الزعاطشة الطويل والقاسي والذي مثل بالنسبة للقيادة العسكرية الفرنسية انشغالا أساسيا في مخطط احتلال الجزائر واستدعى تدخلا قويا وعاما ،لان هذه المقاومة أعطت البعد الوطني والروحي للكيان الجزائري في أعين الاحتلال.وفي رسالة أخرى للجنرال هيربيون بتاريخ 2 جانفي 1850يقدم اقتراحات للقيادة بضرورة تنظيم إدارة المناطق المحيطة بالزيبان خاصة مدينتي بسكرة وبوسعادة اللذان يعتبران في نظره أهم طرق القوافل نحو الصحراء والشمال واهم مناطق التواصل الاجتماعي بين قبائل أولاد نائل وقبائل التل والحضنة.[3]

يبقى تقرير الجنرال هيربيون والكولونيل بورال على أهميتهما يقدمان النذر القليل من أحداث قاسية عاشتها المقاومات الشعبية في الصحراء الجزائرية الشرقية،والتي مثلت من خلالهما قيمة البعد الوطني والتآزر بين اعراش الزيبان والحضنة وأولاد نايل في الدفاع على الوطن وأركانه وقياداته التقليدية أمثال الشيخ بوزيان وبن شبيرة.

وفي ظل نقص الكتابات الوطنية التي عاصرت فترة توسع الاحتلال الفرنسي للصحراء الشرقية ،يجد الباحث نفسه بحاجة الى قراءة متأنية لمثل هذه التقارير وغيرها لإعطاء الملمح التاريخي الأقرب إلى الأحداث التي وقعت بحيثياتها وع موازنتها مع ما تبقى من الذاكرة الجماعية المحلية ،والتي على محدوديتها تبقى رافدا هاما للكتابة التاريخية للفترة الاستعمارية.

---

[1] Anom:11h28 :journal des opération s de la colonne expéditionnaire des . zibanes1849. Journée 26/10/1849

[2] Anom:11h28 :journal des opération s de la colonne expéditionnaire des – zibanes1849.journée 30/10/1849.

[3]

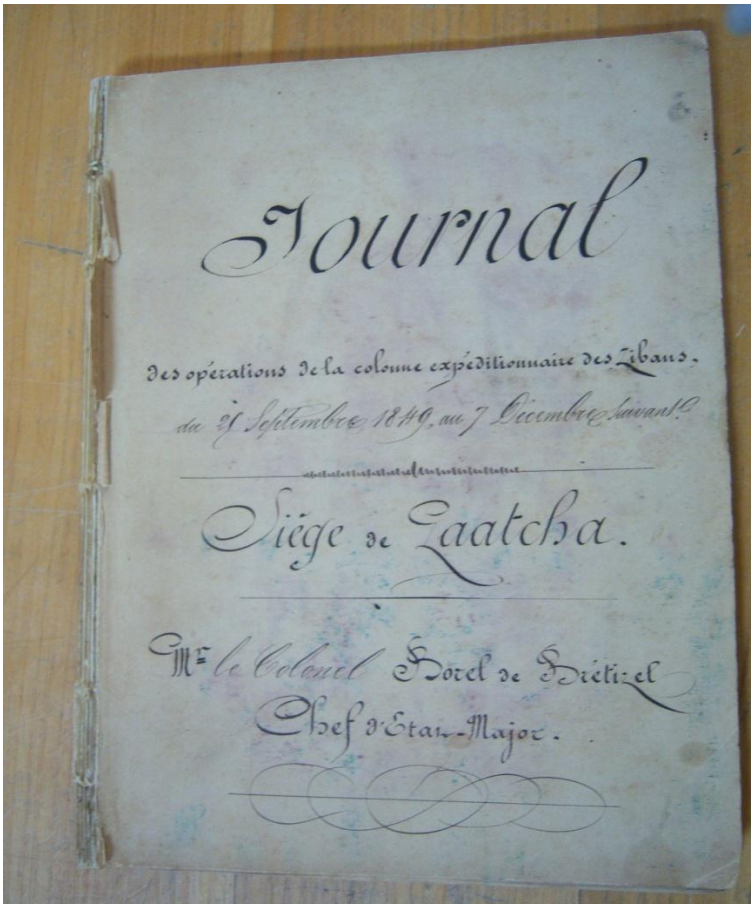

ANOM11H28 JOURNAL DE SIEGE DE ZAATCHA.صورة لتقرير بورال

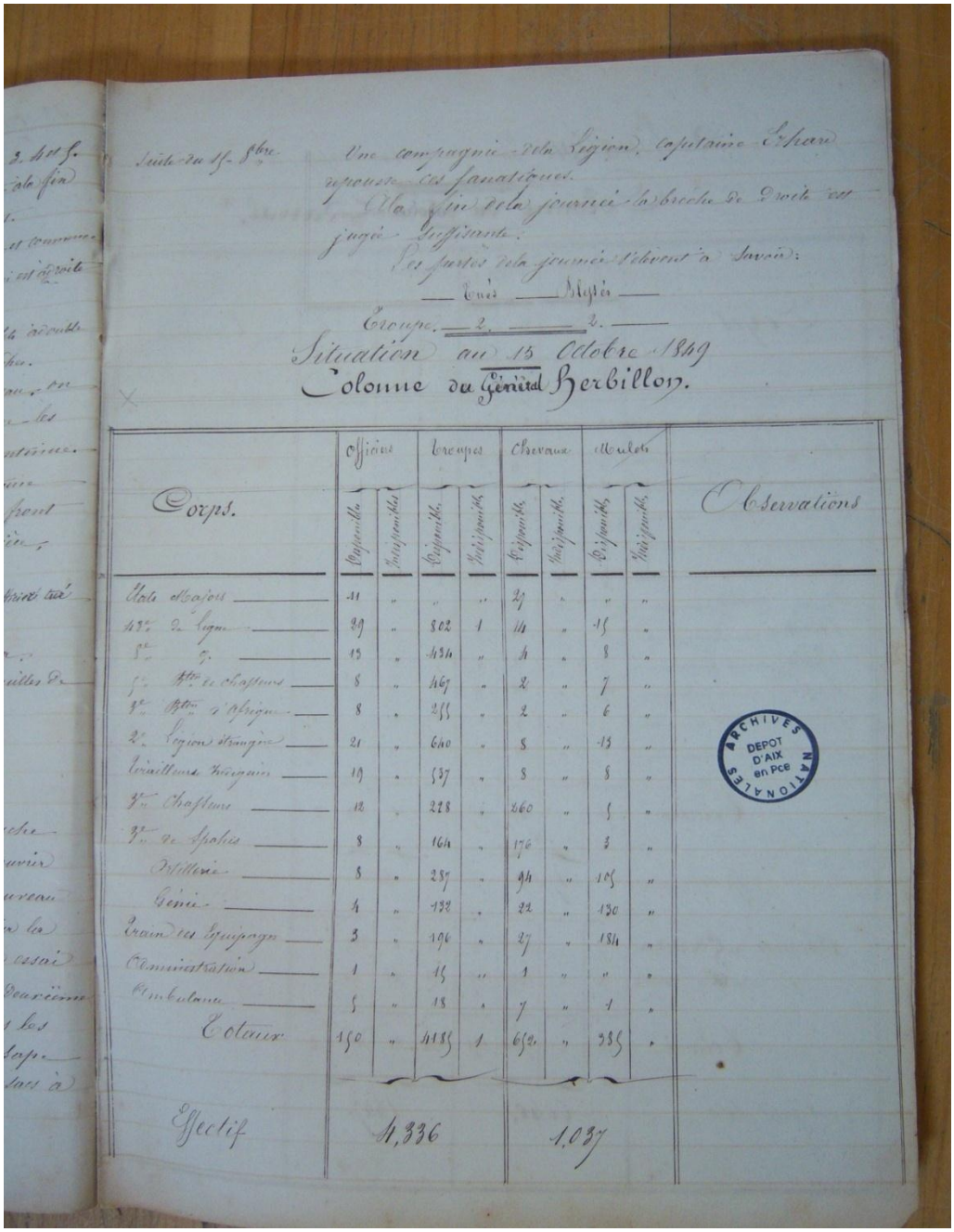

Suite du 15 8bre

Une compagnie de la Légion, capitaine Spiari
reprouve ces fanatiques.
Vers la fin de la journée la brèche de droite est
jugée praticable.
Les pertes de la journée s'élèvent à savoir:
— Tués — Blessés —
Troupe. — 2. — 2. —

Situation au 15 Octobre 1849
Colonne du Général Herbillon.

Corps.	Officiers		Troupes		Chevaux		Mulets		Observations
	Disponibles	Indisponibles	Disponibles	Indisponibles	Disponibles	Indisponibles	Disponibles	Indisponibles	
Etats Majors	11	"	"	"	27	"	"	"	
43e de ligne	29	"	802	1	14	"	15	"	
5e C.	13	"	434	"	4	"	8	"	
5e Bon de Chasseurs	8	"	467	"	2	"	7	"	
3e Bon d'Afrique	8	"	255	"	2	"	6	"	
2e Légion étrangère	21	"	640	"	8	"	13	"	
Tirailleurs Indigènes	19	"	537	"	8	"	8	"	
3e Chasseurs	12	"	228	"	260	"	5	"	
3e de Spahis	8	"	164	"	176	"	3	"	
Artillerie	8	"	287	"	94	"	105	"	
Génie	4	"	132	"	22	"	130	"	
Train des Equipages	3	"	196	"	27	"	184	"	
Administration	1	"	15	"	1	"	"	"	
Ambulance	5	"	18	"	7	"	1	"	
Total	150	"	4185	1	652	"	385	"	
Effectif	4,336				1.037				

ARCHIVES NATIONALES DEPOT D'AIX en Pce

جدول هيكلة الفرقة العسكرية للجنرال هيربيون ANOM11H28 COLONNE HERBILLON 1849